

اختزال الشكل

افتتاح لدراسة الشيخ محمد علي المصوفي

الباحث اللغوي المعروف

«عرفنا الشيخ محمد علي المصوفي محققا لغويا ، له اتصال وثيق بالمراجع التي يحتاج بها ، وقد أكتسبه قراءته كثيرا من الآراء القوية في إصلاح اللغة وتيسير سبلها للناشرين ، وقد عالج في هذا البحث بعض المشكلات ، ولذلك أحببنا أن ننشره بين أساتذة اللغة العربية ليروا رأيهم فيه ، والاستاذ يرحب بكل ما يديه الزملاء الافاضل من الملاحظات في هذا الموضوع الجليل الشأن »
التحرير

اختزال الشكل

كانت الحروف العربية في مبدأ أمرها منقوطة وليست مشكولة ، ثم أهمل النقط فصارت غير منقوطة ولا مشكولة . وعندنا على ذلك آثار مادية منها كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس وغيره من الآثار .

وكانت العرب تقرأ الخط العربي بالسليقة ؛ لأن اللغة العربية كانت في عنفوان شبابها ، لم يتطرق إليها اللحن والتحريف ، فكان العربي ينطق بالكلمات صحيحة مضبوطة ، يستوي في ذلك الصغير والكبير والذكر والأنثى . فلما فشا التحريف بسبب اختلاط العرب بالعجم بعد الفتوحات الإسلامية وضع الشكل . ثم كثر التحريف وفقدت ملكة الإعراب في المتعربين فوضع الإعجام وهو النقط في زمن عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بن يوسف كما سيجيء تفصيله .

أما السبب في وضع النقط فهو كثرة التشابه بين الحروف العربية من أصل الوضع : ففيها خمسة أحرف متقاربة الوضع لا يتميز بعضها عن بعض في أول الكلام أو وسطه أو آخره إلا بالنقط وهي (ب ت ث ن ي) ما عدا الياء، فإنها لا تنقط في آخر الكلمة وفي حالة الأفراد (١)، وفيها ثلاثة متحدة الوضع لا تتميز بينها في أول الكلام أو وسطه أو آخره أو في الأفراد إلا بالنقط، وهي (ج ح خ) وما بعدها من الحروف كل حرفين على وضع واحد، لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالنقط، ما عدا الكاف واللام والميم والهاء والواو . وعلى ذلك تكون الحروف المهملة ١٣ حرفاً وهي (ا ح د ر س ص ط ع ك ل م ه و) والمعجمة ١٤ (ب ت ث ج خ ذ ز ش ض ظ غ ف ق ن) أما الياء فإذا روعيت حالة الأفراد حسبت مهملة، وإذا روعيت حالة الاتصال في الأول والوسط عدت معجمة، فعلى الحالة الأولى تكون الحروف ٢٨ منها ١٤ مهملة و ١٤ معجمة كمنازل القمر منها ١٤ ظاهرة فوق الأفق و ١٤ مخفية تحته . وعلى الثانية تكون المهملة ١٣ والمعجمة ١٥ .

وأما سبب وضع الشكل ففشو اللحن والتجريف في الكلمات العربية كما علمت . فوضع الشكل أولاً بالنقط بلون يخالف لون المداد الذي كتب به الخط منقوطة، وفي المكتبة الملكية بمصاحف مشكولة بنقط حمراء، ثم وضع ثانياً بالعلامات المعروفة الآن كما سيأتي ذلك مفصلاً .

أول من وضع الخط العربي

قال ابن عباس :

هم ثلاثة من طيء من قبيلة بولان التي سكنت الأنبار وهم : مُرامر بن مُرة، وأسلم بن سدره وعامر بن جَدْرَة : فالأول وضع الحروف ، والثاني فصل ووصل ، والثالث وضع الإعجام (النقط) وسمّوا هذا الخط بالجزم لأنه مقتطع من الخط الحميري .

(١) أهل الشام ينقونها في جميع أحوالها .

وقال أستاذنا «حقى بك ناصف» في كتاب تاريخ الأدب: «وصل الخط الحميرى الأنبارى إلى الإسلام على شكلين: التقوير والبسط، فالخط المقور (ويسمى باللين والنسخى) هو ما كانت عراقاته منخفضة إلى أسفل، وهو الذى كثر استعماله وعم تداوله فى المراسلات والكتابات المعتادة. والخط المبسوط (ويسمى باليابس) ما كانت عراقاته مبسوطة، ولا يستعمل عادة إلا فى النقش على المحاريب، وأبواب المساجد، وجدران المباني الكبيرة، وفى كتابة المصاحف الكبيرة، وما يقصد به الزينة والزخرف، وغلب عليه إطلاق لفظ كوفى بعد أن بنيت الكوفة بأمر عمر بن الخطاب على مقربة من موضع الحيرة والأنبار. وأجمع المؤرخون على أن أول من حمل الكتابة إلى مكة حرب بن أمية بن عبد شمس، تعلمها من عدة أشخاص منهم بشر بن عبد الملك، وقد حضر معه إلى مكة وتزوج ابنته، وعلم جماعة من أهل مكة ثم ارتحل.

وكان كتاب النبى ﷺ يكتبون بالخط المقور وهو النسخى، وهم ثلاثة وأربعون وأشهرهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى. وكان ألزمهم للنبى ﷺ وأكثرهم كتابة له زيد بن ثابت ومعاوية بن أبى سفيان. وبهذا الخط عنه كتب زيد بن ثابت صحف القرآن فى خلافة أبى بكر بأمره رضى الله عنه بإشارة عمر بن الخطاب.

والكتب التى أرسلها النبى ﷺ للبلوك كلها بهذا الخط، ومنها: كتابه لهرقل قيصر الروم، وقد أرسله مع دحية الكلبي، وكتابة لآثر شروان كسرى فارس، وقد أرسله مع عبد الله بن حذافة السهمي، وكتاب لأصحمة نجاشي الحبشة، وقد أرسله مع عمر بن أمية الضمرى، وكتاب لمينا بن جريح مقوقس مصر، وقد أرسله مع حاطب بن بلثعة، وكتاب للمندر بن ساوى، وقد أرسله مع العلاء بن الحضرمي. وكتاب لجبيفر وعبد ملكي عمان، وقد أرسله مع عمرو بن العاص، وكتاب لهود بن علي صاحب اليمامة، وقد أرسله مع سليط

ابن عمر العامري . وكتابه للحارث بن شمر الغساني ملك البلقاء وقد أرسله مع شجاع بن وهب ، وكتابه ليوحنا بن روبة صاحب أيلة، وسلبه له في تبوك . وقد عثر الباحثون على الكتابين المرسلين إلى المقوقس والمنذر بن ساوى وأخذوا صورتهم بالتصوير الشمسي ، وطبعوهما .

أما الكتابان نفسيهما فمحفوظان الأول في الأستانة والثاني في فينا .

الشكل بطريق النقطة

قال أستاذنا رحمه الله بعد أن ذكر اشتغال أبي الأسود الدؤلي بوضع النحو بأمر الإمام علي « واشتهر بعد ذلك أبو الأسود بعلم العربية فاختلف الناس إليه للأخذ عنه » ثم ذكر أسماء جماعة برعوا في النحو وقراءة القرآن وفنون الأدب حتى صاروا أئمة الأنام وهداة الإسلام .

غير أن اشتغال الناس بالنحو لم يصد ذلك التيار الجارف من فساد الألسنة بالاختلاط ، فطلب زياد بن سمينة — وكان والياً على البصرة — من أبي الأسود أن يبتكر طريقة لإصلاح الألسنة وقال له : إن هذه الحمراء (يريد العجم) قد كثرت وأفسدت من ألسنة العرب ، فلو وضعت شيئاً يصاح الناس به كلامهم ، ويعربون به كتاب الله ، فأبى أبو الأسود . . لأنه من جهة كان ضنيناً بما تلقاه عن علي كرم الله وجهه ، ومن جهة أخرى كان قد ضعف نشاطه بعزله عن ولاية الهرة بعد قتل علي وإفضاء الخلافة إلى الأمويين أعدائه السياسيين ، فدير زياد حيلة — وكان من دهاء العرب — فقال لرجل من أتباعه : « اقعد في طريق أبي الأسود واقرا شيئاً من القرآن وتعمد اللحن »

فذهب الرجل وقعد في طريق أبي الأسود فلما قاربه رفع الرجل صوته بالقراءة كأنه لا يقصد إسماع أبي الأسود ، وقال (إن الله بريء من المشركين ورسوله) وكسر اللام ، فأعظم ذلك أبو الأسود ، وقال : « عز وجه الله أن يبرأ من رسوله » ثم رجع من فوره إلى زياد وقال له : قد أجبتك إلى ما سألت ، ورأيت

أن أبدأ بإعراب القرآن ، فابغى كاتباً فبعث إليه ثلاثين كاتباً ، فاختار منهم واحداً من عبد القيس . وقال له : خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد ، فإذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه ، وإذا كسرتها فانقط واحدة أسفله ، وإذا ضممتها فاجعل النقطة بين يدي الحرف ، فإن تبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين . وأخذ يقرأ القرآن بالتوالي ، والكاتب يضع النقط ، وكلما أتم الكاتب صحيفة أعاد أبو الأسود نظره عليها . واستمر على ذلك حتى أعرب المصحف كله . فأخذ الناس هذه الطريقة عنه وشكلوا بها الحروف ، فكانوا يضعون للدلالة على فتحة الحرف نقطة فوقه ، وعلى كسرة نقطة من أسفله ، وعلى ضمته نقطة على شماله ، والحرف الساكن لا يضعون عليه شيئاً . وإذا كان الحرف منوناً يضعون نقطتين فوقه أو أسفله ، أو عن شماله واحدة دلالة على الحركة والآخرى دلالة على التنوين ، فإذا كان بعد التنوين حرف من أحرف الحلق ^(١) وضعوها إحداها فوق الأخرى ، علامة على أن النون مظهرة ، وإلا وضعوها إحداها بجانب الأخرى علامة على أن النون مدغمة أو خفية . وكانوا يسمون هذه النقطة شكلاً ؛ لأنها تدل على شكل الحرف وصورته ، ولولا ذلك لكان الحرف مادة قابلة لأن تتشكل بأي شكل .

وقد تفنن الناس بعد أبي الأسود في شكل النقطة ، فمنهم من جعلها مربعة ، ومنهم من جعلها مدورة مسدودة الوسط ، ومنهم من جعلها مدورة خالية . ثم قال : « وجرى أهل الأندلس على استعمال أربعة ألوان في المصاحف : السواد للحرف ، والحمرة للشكل بطريق النقط ، والصفرة للهمزات ، والخضرة لآلقات الوصل » .

ولم تشتهر طريقة أبي الأسود إلا في المصاحف حرصاً على إعراب القرآن .

(١) الأحرف التي مخرجها من الحلق ستة مجموعة في قول بعضهم :

همز وهاء ثم عين حاء / مهملتان . ثم غين خاء

وأما الكتب العادية فكان شكلها نادرا ؛ لأن المكتوب إليهم كانوا يعدون ذلك تجهيلا لهم .

قال بعضهم: «شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه» ومن الناس من كان ينفر من الشكل بهذه الطريقة لقبح منظره . وقد عرض مرة على عبد الله بن طاهر كتاب مشكول، وكان خطه جميلا، فقال . . ما أحسن هذا الخط لو لا كثرة شُونيزه. والشُونيز الحبة السوداء . شبه ابن طاهر النقطة بالشُونيز كأن الكاتب بعد أن خط كتابه نثر عليه جانبا من الشُونيز .

الإعجام أى النقاط

المراد بالإعجام تمييز الحروف المتشابهة بوضع نقط لمنع اللبس ، فالهمزة في الإعجام للسلب أى إزالة العجمة كفى قولك : شكوت إليه فأشكاني، أى أزال شكواي، ثم قال أستاذنا حفى بك ما ملخصه : يظهر أن الإعجام موضوع قبل الإسلام، ولكن تساهل الكتاب في أمره شيئا فشيئا حتى تنوسى ، ولم يبق منه إلا النادر إلى أن جاء زمن عبد الملك فتم على كتاب دولته رعايته . وبيان ذلك أن الناس مكثوا يقرءون فى مصاحف عثمان نيفا وأربعين سنة، ثم كثر التصحيف فى العراق، ففزع الحجاج الى كُتَّابه فى زمن عبد الملك، وسألهم أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابهة . ودعا نصر بن عاصم الليثى، ويحيى بن يعمر العدوانى (تليذى أبى الأسود لهذا الأمر) فبعد البحث والتروى قرر نصر ويحيى، وكانا من التقوى بحيث لا يُسْتَهْمَان فى دينهما — إدخال الإصلاح الثانى، وهو أن توضع النقاط أفرادا وأزواجا لتمييز الأحرف المتشابهة . . . وقد ذهب المغاربة إلى نقط الفاء بواحدة من أسفل والقاف بواحدة من أعلى خلافا للمشاركة الذين نقطوا الفاء بواحدة من أعلى ، ومنشأ الخلاف بين أهل المشرق والمغرب اختلاف النقل ، فأهل المشرق نقلوا نقط الفاء من أعلى ، وأهل المغرب نقلوا نقطها من أسفل ، ولما كان المشاركة مخالطين لمن وضعوا النقاط رجحنا رأيهم ،

وأشرنا على المغاربة أن يتبعوا طريقهم توحيدا للكتابة في جميع الأقطار الإسلامية . ولما كانت الياء المتطرفة لا تشبه بشيء وجب إهمالها على كل حال ، سواء كان أصلها الألف كالفى أو ياء حقيقة كالفاضى .

الشكل بطريقة الحروف الصغيرة

تبع الناس فى زمن دولة بنى أمية الإصلاح الأول الذى أدخله أبو الأسود والإصلاح الثانى الذى أدخله نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر . وفى زمن دولة بنى العباس مال الناس إلى أن يجعلوا الشكل بنفس مداد الكتابة تسهلا للأمر ، فوقف فى سيلهم اختلاط الشكل بالنقط ؛ لأن كلامها بالنقط ، ورأوا أنه لا بد من إصلاح ثالث : إما بتغيير طريقة الشكل ، وإما بتغيير طريقة الاعجام ، وقد عنى الخليل بن أحمد بهذا الأمر ، وكان أوسع الناس علما بالعربية ، فوضع طريقة أخرى للشكل وهى التى عليها الناس الآن ، بأن جعل للفتحة ألفا صغيرة مائلة فوق الحرف ، وللكسرة رأس ياء صغيرة تحته ، وللضمة واوا صغيرة فوقه ، فإذا كان الحرف المحرك منونا تكرر الحرف الصغير فكتب مرتين فوق الحرف أو تحته كما هو معلوم من أن الفتحة جزء من الألف ، والكسرة جزء من الياء ، والضمة جزء من الواو . ووضع للسكون الشديد وهو ما يصاحب الإدغام رأس شين بغير نقط هكذا ، وللسكون الخفيف وهو ما لا إدغام فيه رأس خام بلا نقط هكذا . ووضع للهمزة رأس عين هكذا . ولقرب الهمزة من العين فى المخرج ، ولألف الوصل رأس صاد هكذا . ووضع فوق ألف الوصل دائما مهما كانت الحركة قبلها ، وللدال الواجب ميم صغيرة مع جزء من الدال هكذا . فصار ما وضعه الخليل ثمانى علامات .

الفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدة والمدة والوصل والهمزة هكذا :

ـَ ـُ ـِ ـْ ـَـ ـِـ ـِـ ـِـ

وهذه الطريقة أمكن أن يجمع الكاتب بين الكتابة والإعجام والشكل بلون

واحد، وقد تفنن أنباع الخليل بحذف جزء من رأس الياء الدالة على الكسرة، وحذف رأس الميم من علامة المد. وأجازوا في الضمتين أن تكتباً على الأصل هكذا^١ أو تزد الثانية على الأولى هكذا^٢ أو توضع الثانية فوق الأولى إلى الخاف كالفاصلة هكذا^٣ وأن توضع كسرة الحرف المشدد تحت الشدة فوق الحرف أو تبقى تحته. وفي الهمزة المكسورة أن توضع كسرتها تحت الألف أو توضع الهمزة من فوق، والكسرة من تحت.

اختزال النقط

لما كان النقط من الكثرة بالمقدار الذي علمته بسبب تشابه الحروف من أصل الوضع فكر علماء الخط في اختزاله. وقد استعملوا هذا الاختزال في نوعين من أنواع الخطوط: وهما خط الرقعة، وخط التعليق المسمى بالخط الديواني، أما باقي الخطوط المشهورة. وهي الثلث والنسخ والفارسي فلم يحصل في نقطها اختزال. واختزال النقط على نوعين:

١ - الأول الاستغناء بسن مائلة إلى الخارج أو على شكل نقطة متصلة في الداخل، في آخر الحرف - عن النقط، وذلك في ثلاثة أحرف وهي الشين والقاف والنون. أما الياء المتطرفة فلا تنقط ولا يوضع بها سن.

٢ - الثاني مزج نقطى التاء والتاء في أول الكلمة ووسطها وآخرها، والياء في الأول والوسط - على شكل خط قصير ومزج النقط الثلاث التي على التاء والشين بهيئة رقم ٨ هكذا^٤ رنو الفتى تخفف هذا الاختزال من عناء النقط في أكثر الخطوط استعمالاً باليد، وهما خط الرقعة والديواني، وقد حذفت أسنان السين والشين من هذين الخطين تسهيلاً للكُتَّاب، ولكن الآن قامت الآلة الكاتبة مقام اليد، وهي خاصة بخط النسخ الذي لم يمسه اختزال النقط. فحبذا لو عني بعض المصريين باختراع آلة كاتبة لخط الرقعة لما فيه من مزية اختزال النقط.

مقترحات حذف الشكل

الحروف العربية عند التركيب خالية من علامات الحركات والسكون فلذلك كانت أخصر اللغات وضعاً. وقد وضع الشكل فوق الحروف ليقوم مقام الحروف الصامتة في اللغات الأوربية تلفظ مُحَمَّدٌ مثلاً أربعة أحرف يوضع فوقها من علامات الشكل خمس فمجموع الحروف مع الشكل تسع. فإذا كتب بالحروف الفرنجية تكون من ثمانية أحرف ولفظ محمد بالتونين مكون من خمسة أحرف وضع عليها خمس من علامات الشكل. فالحروف مع الشكل عشرة. فإذا كتب بالفرنجية تكون من عشرة أحرف.

وحرف العطف المفرد نحو الواو يقابله من الفرنسية حرفان et. وثلاثة في الانجليزية and فإذا كتبنا محمود ومحمد بالعربية وقابلناهما بالفرنجية ظهر الاختصار في العربية من المقارنة بين مريضى كل منهما هكذا :

محمود ومحمد Mahmoud et Mohammed

فيظهر من هذين الوضعين أن الكلمات بالحروف الفرنجية تشغل من الورق نحو أربعة أمثال الكلمات العربية، فضلاً عن توفير الزمن، فإن الكاتب العربى يكتب فى أقل من ربع الزمن الذى يشغله الإفرنجى فى ترجمة القطعة بعينها على فرض أن الكاتبين فى درجة واحدة من السرعة، لكن هذا الاختصار فى اللغة العربية تقابله صعوبة فى التعليم والنطق بسبب كثرة الشكل، وعدم اتساع المسافة التى فوق الحرف لوضعه، فیرتبك القارىء فى النطق بسبب كثرة وقوع بعض الشكل فى غير موضعه من الحرف.

لهذا وجب علينا أن نقلل منه ما أمكن لىوجد متسع فوق الحروف لمابقى منه مع المحافظة على ما اختصت به الحروف العربية من الاختصار الذى لا يدايزه فيه لغة من اللغات الأوربية.

ولما كان الشكل من الصعوبة بالقدر الذى علمته استغنت عنه الكتب

والرسائل والجرائد والمجلات والإعلانات وغيرها فصارت القراءة فيها مدعاة للحن والتغيير والفوضى في النطق عند غير البصرياء بالنحو واللغة وقليل ما هم . وأظنكم تعلمون حكاية ذلك العمدة الذي قرأ في جريدة المؤيد ... سمو الخديوى في عابدين . فقال يا خبر أسرد (سمى الخديوى في عابدين) .

وكان أستاذنا الشيخ أحمد هرون يدرس النحو والصرف في مدرسة الهندسة ، فأمر الطلبة أن يستذكروا دروسهم في بعض الحصص . فجاءه طالب يقال له توفيق ومعه الكتاب فقال له مامعنى (مَدَوْدَم) يا أستاذ ، فقال : لامعنى لها . أرنيها فأراه إياها ، فإذا هي يَدَوْدَم . وقد سمعت أن رجلا من أعيان البلاد أتى إلى البابلي في منزله فرأى مكتوبا على باب الغرفة . . المؤمن كَيْس فطن . فقرأها . المؤمن كَيْس مُفْطَن . ثم سأل البابلي مامعنى المؤمن كَيْس قطن ؟ فأراد البابلي ألا يكسفه فقال : يعنى قلبه أبيض .

وحدث أيام كنا بالأزهر أن بعض العلماء كان يطالع الدرس ليلا ليقرأه على الطلبة نهارا ، فلما وصل إلى قول الشاعر :

فلولا المزعجات من الليالى لما ترك القطاطيب المنام
قرأ القطاطيب بالرفع والمنام بالنصب لأن البيت غير مشكول . وظن أن القطاطيب نوع من الطير فأمسى ليله يبحث عن معنى القطاطيب في كتب اللغة فلم يجد لها أثرا ، فحضر إلى الدروس في الصباح كاسف البال يخشى أن يسأله بعض الطلبة عن معنى القطاطيب ، فلما وصل إلى البيت أمر بعض الطلبة أن يقرأه فقرأه صحيحا فقال له : أحسنت .

وأقرب حادثة حصلت أمامي أن بعض الأفندية جاءنا بدائرة معارف فريد وجدى وقال : إن فيها عبارة عن تاريخ العرب لم أفهمها . فقلنا له : اقرأها . فقال : أصل العرب من (طِسمٌ و جدّيس) يريد طِسمٌ و جدّيس . فأخذت منه الكتاب وأطبقتة . وقلت له : اقرأ في كتاب مشكول . فيا أسفا على ما فرطنا في جنب اللغة !

وهذا فيما أظن ما حدا بالترك والعجم لنبد الحروف العربية، والاستغناء عنها بالحروف الفرنجية مع ما فيها من التطويل، وشغل الكثير من المسافات، وضياح الكثير من الزمن.

لهذا قامت ضجة من نحو أربعين سنة لإصلاح الحروف العربية والاستغناء عن الشكل، فاقترح بعضهم أن تكتب الحروف مفردة ويوضع الشكل في صلب الكلم كالخروف الفرنجية فيكتب محمد مثلا (م و ح ا م م ا د) وقد جرى على ذلك أنور باشا في تعليم الجند أيام الحرب الطرابلسية لتعلم العسكر القراءة والكتابة في أقرب وقت، ضارباً صفحاً عما ينشأ عن ذلك من التطويل في الأسطر، وعدم التمييز بين الواو الأصلية والضممة، والياء الأصلية والكسرة، والآلف الأصلية والفتحة، مع الفرق العظيم في النطق بين الحرف والحركات، فضلاً عن انقطاع الصلة بين الكتب العربية وبين المتعلمين بهذه الطريقة حيث لا يمكنهم أن يقرءوا الحروف المشتبكة بأي حال من الأحوال.

لذلك دفن هذا الاقتراح حيث ولد ولم تتم له بعد ذلك قائمة، وقد حاول بعضهم أن يميز بين الحروف الأصلية والحركات فوضع الحركات بأحرف صغيرة بعد الحروف الأصلية فيكتب على مثلا (ع ا ل ي ي ي ي ر ن) فرد عليهم أولو الرأي بأن هذا هو الشكل بعينه في صورة مكبرة، وأوضاع متباعدة، فإذا فعلنا ذلك رجعنا من حيث بدأنا بدرون أن نشعر، وخسرنا ضيق المسافات، واختصار الوضع في الشكل (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)

اختزال الشكل

لما كان الشكل عقبة كثودا في سبيل المتعلمين، ولا سيما المستشرقين، لأنه يفوق الحروف عدا، كان لزاما علينا أن نبحث عن طريقة لاختزاله أو الاستغناء عنه إن أمكن، ولم أكن أول المقترحين لذلك كما علمت آنفا، بل عالجته كثير

من قبل، فذهب مجهودهم أدراج الرياح، ولم يكلل سعيهم بالنجاح لأنهم سلكوا طريقاً وعرة فطرحوا اقتراحاتهم في زوايا الإهمال.

بيان أن الشكل يفوق الحروف عدداً

كل حرف لابد له من علامة وبعض الحروف يحمل على كاهله علامتين أو ثلاثاً أو أربعاً كالشدة والفتحة، أو الشدة والضمين، أو الهمزة والشدة والضمين، أو الفتحين أو الكسرتين أو غير ذلك من الشدة والوصلة والمدة، حتى ضجت الحروف من أثقالها، وقال الإنسان ما لها؟ إذ لم يكف هذه الحروف ما حملت من النقط ما لم تحمله لغة أخرى حتى زيد عليها الشكل، فانطبق عليها المثل العربي (إن ضجَّ فزده وقرأ) يرادفه من العamy (جمل ما قدر يقوم بطنه قالوا اعقلوه) لما كان الأمر كذلك لم يلجأ إليه الكتاب إلا عند الضرورة كتعليم الصبية الذين لا يحسنون النطق إلا به، ونحو القرآن الكريم لأنه لا يجوز اللحن فيه، ونحو كتب اللغة التي يراد بها ضبط صيغ الكلمات.

ولذلك خلت منه الرسائل والكتب والمجلات والجرائد حتى بعض كتب اللغة لم يشكل منها إلا ما يشكل عند النطق به كالأعلام وما قبل آخر الثلاثي. وقد علمت من بعض الأساتذة أن المتعلمين مبادئ القراءة والكتابة من الأوربيين يتأفقون من النقط والشكل كل التأفق، حتى أنه كان يملأ على أحدهم قطعة، فكان يكتب بكتنا يديه يكتب الحرف باليمين وينقطه ويشكله باليسرى، فقال له في ذلك، فقال: إن اليد الواحدة لا تسعني في الكتابة والنقط والشكل.

حذف الفتحات من الكلمات

لما كانت الفتحة أكثر دورانا في الكلام ارتأيت أن نبدأ الخطوة الأولى بحذف الفتحات في جميع الكلمات إذ هي أكثر من نصف علامات الشكل كما تحققت ذلك في كثير من الأسطر وهاك مثلاً من القرآن الكريم (فَحْشَرَفَنَادَى، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

عدد الفتحات في هذه الآية خمس عشرة، والضمات ثلاثة، والسكنات اثنان والكسرات صفر فنسبة الفتحات إلى مجموع الشكل ٧٥ في المائة، وهالك مثلاً آخر من الشعر .

رَأَيْتُ اللَّهَ أَكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ مُحَاوَلَةً وَأَكْثَرَهُمْ مُجْنُودًا

نسبة الفتحات في هذا البيت إلى باقي الشكل كنسبة ١٨ إلى ١٤ أى أكثر من نصف مجموع الشكل، وقد أحصيت الفتحات في جميع أوزان الفعل فوجدت أن الفتحات ٦٨ وباقي العلامات ٢٥ وجميع أوزان الأفعال ٢٢ إلا أنها تشمل مئات الآلاف من المفردات (١) وقد اعتبرنا همزات الوصل مكسورة في أول الأفعال، مع أنها تحذف في درج الكلام، وقد أحصيت الفتحات وغيرها في الحروف وعددها ثمانون فوجدت عدد الضمات ستاً، والكسرات ست عشرة والسكنات ستاً وعشرين، والفتحات ١٠١ فالمجموع ١٥٢ فتكون نسبة الفتحات إلى غيرها كنسبة ٢ : ١ (أى أن الفتحات الثلثان من مجموع الشكل وغيرها الثلث) ولو أحصينا الفتحات وغيرها في موازين الأسماء لوجدنا الفتحات أكثر من النصف على كل حال .

والطريقة المثل لحذف الفتحات أن نصطالح على أن كل حرف غير مشكول مفتوح ونعلم التلاميذ ذلك من السنة الأولى الابتدائية حتى يشب التلميذ متمرناً على النطق بكل ما لم يشكل مفتوحاً فلا يبقى من الشكل إلا جزء يسير لا يشوه الكلمات، ولا يصعب تعلمه على المبتدئين من الأطفال والوريين.

(١) آية ذلك أن الصحاح فيه ٤ ألف مادة وفي القاموس ٦٠ ألف مادة، وفي لسان العرب ٨٠ ألف مادة . فلو قدرنا أن كل مادة من لسان العرب فيها عشرة أفعال لكان المجموع ثمانمائة ألف كلمة من الأفعال وهالك مثلاً للدلالة على أن متوسط ما في كل مادة من الأفعال لا يقل عن عشرة (مادة صبر) ورد فيها من الأفعال . صبر . يصبر . اصبر . تصبر . اصطبر . اصبر ، أصبره . صابر . ما أصبره . صبر به .

ونقتصر على شكل ما يشكل فيها عدا ذلك من كتب طلاب المدارس
الثانوية والجامعة وكتب العلوم والفنون .

حذف الفتححات في اصطلاح القاموس

نما يؤيد اقتراحى هذا ما اصطلاح عليه صاحب القاموس من اعتبار حذف
الفتحة علامة عليها حيث قال فى المقدمة : وكل كلمة عربيتها عن الضبط (أى
بالشكل أو اللفظ) فإنها بالفتح (أى مفتوحة الأول ساكنة الثانى ، فإن كانت
مفتوحة الأول والثانى قال محرقة كما أفاده الشارح) ولكن هل اتبع هذا
الاصطلاح فى شكل القاموس عند طبعه ؟ كلا . فقد شكلت جميع ألفاظه شكلا
تاماً ، فضع غرض المؤلف ، لأنه أراد التقليل من الشكل بحذف الفتححات فى
فى أوائل الكلمات ، فاصطلح على أن حذف الفتحة علامة لها كما فعلت . ولكن
الفرق بين اصطلاحنا واصطلاح صاحب القاموس أنه قصر اصطلاحه على
أوائل الكلمات ، وأنا جعلناه شاملاً لجميع الحروف فصار أعم نفعاً ، وأدعى لحذف
معظم الشكل من الكلمات لتظهر رائعة واضحة كالنبات المزهر الذى تكتفه
الحشائش فتحجب جماله عن الأنظار ، فاذا ما اجتثت من حوله ظهر رونقه
واستوقف الأبصار .

أشكّل ما يُشكّل

ذكر أستاذنا حفى بك ناصف لذلك عشرين قاعدة غير حاصرة . منها
قواعد لما لا يشكل لوضوحه . وقواعد لما يشكل من الحروف خوف اللبس .
(١) فمنها أن المبنى للعلوم لا يشكل منه إلا عينه للدلالة على بابه ، فنشكل
السين فى حسن واللام فى علم والسين فى حسب ، والصاد فى ينصّر والراء
فى يضرب ، والتاء فى يفتّح

(٢) ويشكل أول المبنى للمفعول فى الماضى والمضارع نحو فهم يفهم
وما قبل آخره إذا اشتبه بالرباعى المضموم الأول نحو يُكرم .

(٣) ومنها أن يشكل ما قبل آخر الرباعي للفرق بينه وبين الثلاثي المبني للجهول نحو يُكرم

(٤) ومنها أن تشكل عين مفعّل نحو منظر ومجاس ولعب

(٥) ومنها أن تشكل جميع الأعلام إلا ما اشتهر منها :

(٦) ومنها أنه لا بد من وضع همزة القطع^(١) والشدة والمدة في المد الزائد عن الطبيعي وهو حركتان . فالزائد عن الطبيعي نحو آخذ يؤخذ ولما يؤخذ لأن كلا منها يدل على حرف لا على حركة فكانه من بنية الكلمة ، وقد تنوب عن الفتحة ألف قصيرة في نحو الله وهذه لا تحذف أيضا كالشدة لأنها تدل على ألف محذوفة لا على حركة .

(٧) ومنها الاستغناء عن الشدة في نحو الرحمن الرحيم أي إذا دخلت ال على حرف من الحروف الشمسية وهي ١٤ (ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ل ن) نحو . التمر . الثلج . الدر . الذر . الرق . الزق . السن . الشورى . الصبر . الضمير . الطفل . الظبي . اللحم . النور .

وفيما عدا ذلك تغنى الشدة عن الفتحة أو الفتحين . والهمزة التي فوق الألف عن الفتحة أو الفتحين ، والتي تحتها عن الكسرة أو الكسرتين ، هذا في همزة القطع . وتغنى ألف الوصل عن علامته ، تحقيقا لما ننشده من اختصار الشكل ، ويكتفى بوضع الحركة على ألف الوصل أو تحتها هكذا اذهب أنصر

الاستغناء عن السكون في ال القمرية

وينبغي الاستغناء عن السكون في ال القمرية أيضا نحو الأرض . البلح . الجلد ، الحمد . الخلد . العلم . الغرس . الفرس . القلب . الكبد . الهر . الورد . اليم

(١) هذا يجاب عما اقترحه بعض إخواننا من حذف الهمزة مطلقا اكتفاء بحركتها . وقد أجبت أن همزة القطع فضلا عن كونها تنوب عن حرف فإنها توضع للفرق بين همزتي القطع والوصل . فأجاب بأن قاعدة همزة الوصل والقطع تغنيان عن وضعهما كعلامة الأعراب . فأجبت بأن الشكل وضع للمبتدئين . على أن كثيرا من المتعلمين لا يميزون بين همزة الوصل والقطع أثناء القراءة مع علمهم بالقواعد . أما قوله إن حركة همزة القطع تغني عنها لجوابه أنه إذا وضعت الحركة على كل من همزتي الوصل والقطع حصل اللبس فلا بد من وضع الهمزة في همزة القطع وتركها في همزة الوصل .

حذف الحركة والسكون في آخر الجمل

أضيف إلى ما تقدم حذف الضمة والكسرة والسكون عند الوقف تبعاً لقاعدة «لا يتبدأ بساكن ولا يوقف على متحرك» وقد جرت المطابع على حذف الحركات من الحرف الواقع في آخر الجملة وشكاه بالسكون تبعاً للوقف فيما عدا المصحف. ولكن لا لزوم لوضع السكون أيضاً اكتفاء بتفهم المتعلمين هذه القاعدة، وهي أنه لا يوقف على متحرك. وينبغي أن تتبع هذه القاعدة في أجزاء القرآن الكريم المعدة للتعليم لافي المصحف الكامل الذي ينبغي أن يتبع فيه رسم المصحف العثماني كما فعلت الحكومة المصرية في المصحف الكبير المتداول الآن.

(١) نموذج من القرآن الكريم بالشكل المختزل

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ .
عدد الحروف في هذه الآيات ٧٨ يشكل منها ٢٦ ولا يشكل منها ٥٢ فما
يشكل الثلث ومالا يشكل الثلثان

(٢) من الحديث الشريف

قال عليه الصلاة والسلام

مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً
فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير
وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا
وسقوا وزرعوا . وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تأمرك
بماء ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني
الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى
الله الذي أرسلت به .

(٣) من الحديث الشريف أيضا

قال عليه الصلاة والسلام

مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن أن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب . ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر . ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر .

(٤) من كلام الإمام علي

قال علي كرم الله وجهه : « الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعا : أتباع كل ناعق مع كل ريح يميلون ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى دكن وثيق »
نسبة ما شكل هنا إلى ما لم يشكل كنسبة ١ إلى ٣ .

هذه هي الخطوة الأولى ، فتي خطوناها عالجنا الخطوة الثانية وهي البحث عن إمكان وضع علامات في نفس الحرف تغني عما بقي من الشكل (١) . ولي وطيد الأمل أن تبدأ الخطوة الأولى من الآن ، فحذف الفتحات من كتب المطالعة والمحفوظات والقواعد وأجزاء القرآن الكريم التي توزع على المبتدئين ، وكذا كل ما كانت تطبعه المطابع بالشكل الكامل . فهذا يسهل على المتعلمين ضبط الكلمات بقليل من الشكل الذي يظهر واضحا على الحروف لاتساع

(١) ليست الخطوة الثانية من السهولة بمكان بل هي عقبة صعبة المرتقى ، وذلك أن أشكال الحروف العربية في أول الكلمة ووسطها وآخرها ٨٤ فإذا وضعت بها علامات للضمة والكسرة والسكون بلغ عدد الأشكال ٢٥٢ أما بقاء الضمة والكسرة والسكون فلا يزيد في أشكالها . وإن كانت العقبة هي كون العلامة منفصلة عن الحروف ففي اللغة الفرنسية ثلاث مثلها وهي (é ê ë)

المسافات بين كل علامة وأخرى، ويتنفس المستشرقون الصعداء، ويقبلون على تعلم اللغة العربية بصدور منشرة ووجوه مستبشرة
فإليكم أيها الإخوان أقدم اقتراحى هذا وليدا، فغذوه بأفكاركم حتى
ترعرع ويشب، وينتشر فى الأقطار العربية التى تعد مصر بحق قائدة نهضتها
العلمية والأدبية.

وأكبر ظنى أنه لو قدم هذا الاقتراح لمن ناقشوا الاقتراحات الماضية لحذف
الشكل لما ترددوا فى قبوله، لأنه لا يكلفنا شيئا، ولا يمس جوهر الحروف.
وإن شئت فقل: إنه أمر سلبى، أو شكل معنوى على أننا ذكرنا فيما تقدم موضعين
استعملت فيهما هذه الفكرة غير ناضجة. (الأول) أن من وضعوا الشكل
بالنقط على يد أبى الأسود الدؤلى حذفوا منه علامة السكون اعتبارا منهم أن
كل حرف غير مشكول ساكن. ولو أنهم حذفوا الفتحة ولم يضعوا لها علامة
كاقتراحنا هذا لكان أخصر وأدعى لعدم شحن الحروف بكثرة الفتحات
وعذرهم فى ذلك واضح، فإن النقط لم يكن وضع بعد فكان الشكل بالنقط واضحا
على الحروف لم يشاركه فيها الاعجام بالنقط، كما حصل ذلك فى زمن الحجاج
فعجم الحروف بالشكل والنقط كما قدمناه (والثانى) ما اصطلاح عليه صاحب
القاموس من حذف الفتحات فى أوائل الكلمات واعتبار هذا الحذف علامة
لها. وليس هذا الاقتراح بدعا فى اللغة، فعند النحويين من العلامات المعنوية
ثلاث (١) اعتبار الابتداء علامة رفع المبتدأ وهو عامل معنوى (٢) واعتبار
علامة رفع المضارع تجرده من الناصب الجازم وهو أيضا أمر معنوى. (٣)
وعلامة الحرف أنه ليس له علامة، وقد نظمها بعضهم بقوله:

والحرف ما ليست له علامة فقس على قولى تكن علامة
وأنا أقول على هذا النسق:

والفتح ما ليست له علامة على الحروف نحو ياسلامه

والخلاصة أن ترك الشكل بأجمعه غلط ، وإرهاق الكلمات بجميعه شطط ،
والاقتصار منه على ضبط ما يشكل توسط ، وخير الأمور الوسط .
وفي الختام نسأل الله الملك العلام أن يحفظ لنا صاحب الجلالة ملكنا
المعظم ، الملك فاروق الأول أيد الله ملكه ، وأن يوفق رجال دولته الأتجاد إلى
ما فيه الخير والإسعاد .

آمين آمين آمين !!

محمد علي الدسوقي